

سلوة الحزين في موت البنين

تأليف: ابن أبي حجلة التلمساني

تحقيق: الدكتور مخيمر صالح

عرض ونقد: عبد المعين الملوحي

دمشق

تمهيد:

في عام ١٩٧٠ فُجعت بابنتي (ورود) فرثيتها ونشرت رثاءها في ديواني (قصيدتان: بهيرة وورود) ومنذ ذلك الحين شغلني أمران: أولهما البحث عن القصائد التي رثى بها الآباء المفجوعون أو الأمهات الشاكلات أبناءهم وبناتهم، وثانيهما جمع الكتب التي تتعلق بهذا الموضوع الإنساني.

وقد استطعت في المجال الأول جمع عدد غير قليل من القصائد وصنفتها

قسمين:

١- المراثي من العصر الجاهلي حتى القرن الثامن الهجري.

٢- المراثي من القرن التاسع الهجري حتى اليوم.

وأصدرت دار الكنوز الأدبية في بيروت القسم الأول من الكتاب تحت عنوان

(مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات)

وأنا أعكف الآن على إعداد القسم الثاني من الكتاب تمهيداً لنشره عما قريب.

أما الموضوع الثاني الذي شغلني وهو جمع الكتب التي تتعلق بمراثي الآباء

والأمهات، فقد عثرت على كتابين مطبوعين:

١- برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي، وقد طبع في القاهرة، من دون ذكر تاريخ الطبع.

٢- سلوة الحزين في موت البنين لابن ابي حجلة التلمساني، وقد طبع في عمان من دون ذكر لتاريخ الطبع كذلك.

الكتاب الأول: برد الأكباد عند فقد الأولاد

من تأليف محمد بن عبد الله المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (المتوفى سنة ٨٤٣هـ) وقدم له عبد القادر بن شيبية الحمد (من علماء الأزهر) ويقع الكتاب في ٤٨ صفحة، وقام مقدم الكتاب - ويلاحظ أنه لم يقل عن نفسه إنه محقق الكتاب - بوضع ترجمة للمؤلف وقال فيها إنه ولد سنة ٧٧٧هـ بدمشق وتوفي في سنة ٨٤٢هـ. ويضع المقدم قائمة بالكتب التي ألفها المؤلف وبلغت ٣٦ كتاباً ثم قال وله عدة مصنفات أخر.

وجاء في التعريف بالكتاب ما يأتي:

(... فإننا لا نعلم كتاباً ألف فيه (في المواساة بفقد الأبناء) غير كتابين اثنين باسمين متشابهين، هما كتاب (تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد) للشيخ الكمال أبي حفص عمر بن أحمد بن العية الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ، وثاني الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا...) ويضيف التعريف: (... ولعل الكتاب الثاني مستفاد من الأول ومختصر منه، فقد ذكر صاحب كشف الظنون أنه مختصر).

ولا أعرف شيئاً عن وجود الكتاب الأول.

أما الكتاب الثاني الذي يعالج هذا الموضوع فهو كتاب (سلوة الحزين في موت البنين) لابن أبي حجلة التلمساني (٧٢٥-٧٧٦هـ) وقد حققه الدكتور مخيمر صالح من جامعة اليرموك. وهو موضوع الحديث.

سرتني انضمام الدكتور إلى المهتمين بتراثنا العربي المجيد، ومحققيه -على قلتهم، وعكفت على قراءة الكتاب فوجدت المحقق الكريم قد بذل جهداً غير قليل في التحقيق وقدم لنا نصاً مقبولاً للكتاب، وبذل جهداً مشكوراً في تتبع الكتب التي تخصصت في موضوع المراثي وقال:

ومن هذه الكتب:

١. الفضل المبين في الصبر عند فقد الأولاد والبنين للصالحى (٥٧٨٥هـ).

٢. تسلية أهل المصائب للصالحى أيضاً.

٣. ارتياح الأكباد بأرياح فقد الأولاد، للسخاوي (٩٠٣هـ).

٤. تسلية الفؤاد عن الأولاد مجهول المؤلف.

٥. المقامة اللازوردية في موت الذرية للسيوطي (٩١١هـ).

٦. فضل الجَد عند فقد الولد للسيوطي أيضاً.

وإذا أضفنا إليها الكتاب موضوع البحث

٧. سلوة الحزين في موت البنين للتلمساني (٧٧٦) والكتابين المذكورين من قبل:

٨. تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد لابن عديّة (٦٦٠هـ).

٩. برد الأكباد عند فقد الأولاد للدمشقي (٨٤٢هـ).

نكون قد حصلنا على زاد وفير في هذا الموضوع؛ أضف إلى ذلك الكتب العامة في المراثي، ومنها مراثي الأولاد، وأشهرها:

١. كتاب التعازي والمراثي للمبرد طبع مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٤٦م.

٢. كتاب المراثي لليزدي طبع وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٩١.

الصفة العامة في كتابي (سلوة الحزين) و(برد الأكباد) أنهما كتابان دينيان في الدرجة الأولى، يوردان ما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة في الصبر والتجدد، ثم يذكران موقف السلف الصالح من الموت، ما ورد في البكاء والنياحة على الموتى، ولكن حظ كليهما من المراثي نفسها قليل جداً، وكأن المؤلفين يهمنهما تسلية الحزين لا إيراد أشعار الأباء المفجوعين والأمهات الثاكلات.

الملاحظات على الكتاب

تتقسم هذه الملاحظات إلى قسمين:

القسم الأول في الأغلاط المطبعية الفاحشة في الكتاب، وقد بلغت حداً شوه الكتاب تشويهاً غير قليل، وأصبحت ذات خطر على الذين يريدون اقتباس الأبيات الواردة في هذا الكتاب.

القسم الثاني في الهفوات التي وقع فيها المحقق، وكان من الممكن أن يتجنبها.

الأخطاء المطبعية:

وأعتر سلفاً عن عدم إيرادها كلها لكثرتها وسأكتفي بذكر بعضها:

وأولى هذه الأخطاء الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع مما لا سبيل إلى

حصره. ومن هذه الأخطاء:

الصواب	الخطأ	الصفحة
والأخ وأخوه	والأخ وأخيه	٢٣
أدخلهم	أدخلهما	٢٤
دفنت	دفنتي	٣٩
احتظرت	احتظرتي	
يقيك	يقيكي	

وإذا كانت واردة في المخطوط كما وردت في المطبوع فقد كان من الواجب الإشارة إلى ورودها كذلك في المخطوط مع العلم أنها وردت صحيحة في المخطوطة (د).

زائدة في المطبوع	عناك	٥٢
رجل (وردت مرات)	رحل	٥٤
يبليغ	يبالغ	٥٥
ضعفت	صعقت	٦٦
الفناء في بيت المتنبي	القنا	٧٢
تتاءتا	تتاءيا	٧٢
فاطماً	فاطم	٧٣
فبنو العباس	فبنوا العباس	٧٥
ما لليالي	مال الليالي	٧٦
قبله	قوله	٧٨
هيا (بالباء المفردة)	هيا (بالباء المزدوجة)	٨١
ألم تعلما	أما تعلما	٨١
مفرداً	مفرداً	٨١
يجيب	يجيبُ	٨١

فداءها	فداؤها	٨١
الهوا	الهوى	٨٢

وإذا وردت كذلك في المخطوط فينبغي الإشارة إلى ذلك في الحاشية، والمعنى يتم بالهوا (ء) لا بالهوى.

غما	غيا	٨٣
عريق	عريقُ	٨٧
الشحيح	الشجيع	٨٨
دلها	دلها	٨٨
ويؤتى	ويؤتى	٨٨
لعلها (تعد)	تلعد	٨٩
أرغبهم	أرغمهم	٨٩
ظلماء	ظلماً	٨٩
يهذي	يهدي	٩٠
أخدعُ	أخدعَ	٩١
كفة الحابل	كفة الحائل	٩١

في بيت المتنبي (٣ : ١٩٩)

فذي الدار أخونُ من مومس وأخدع من كفة الحابل

تفانى	تفانى	٩١
يدفن في بيت المتنبى (٣: ١٨٣)	ويدفن	٩٢
بتكلم	بتلكم	٩٥
نتباكى	تنتباكا	٩٦
فلم يجبه	فلم يجيبه	٩٧
سأل	سال	٩٧
مقاله	مقاله	٩٧
ألا	لا	٩٧
زيادة تحذف	يعلى	٩٨
بغية	بغيه	٩٨
ومحال	ومحال	٩٨
خيراً	خير	٩٨
لوجدنا (جواب لولا)	توجدنا	١٠٣
نقول	نقلو	١٠٣
لتعز	لتعزي	١١٥
المعزى ^(١)	المعزى	١١٨
أيكه	ايكه	١٢٢

(١) في بيتي أبي فراس:

لا بد من ففد وممن فافد فليس بين الناس من خالد
 كمن المعزى لا المعزى به إن كان لا بد من الواحد

نكتة طريفة رواها سليم سركيس في كتابه (غرائب المكتومجي) (الرقيب الصحفي التركي) ص ٣٦ قال سليم: حذف المكتومجي كلمة خالد من قافية البيت الأول واستبدالها بكلمة (طائر) فقلت: لماذا فعلت ذلك، قال اسم والي بيروت (خالد)... ولا يجوز إيراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية...

قلت	قلتي	١٢٤
يحور	يجود	١٣٠
وتقلت	ونفقت	١٣٨
لغدا(أبو تمام: الديوان ٣٨٠) واللام في جواب لو	أخذا	١٤٠
بعده	بعد	١٤٠
تحتّها	تحتّها	١٤٠
ذويت	ذوئب	١٤١
عِظَات	عِظَاة	١٤٢
أربي	أرُبي	١٤٦
(بالقاف) الساقيات (بالفاء)	الساقيات	١٤٧
تأبين	تباين	١٤٨
إذا	إذ	١٤٩

وأكتفي بهذا القدر المخيف من الأخطاء المطبعية.

هفوات التحقيق:

٥٤ أقول سوى أقول سوى وفي اللسان الشوى: الهين
من الأمر، وبه يتم معنى البيت،
ولعلها خطيئة مطبعية.

٧٢ أورد المحقق بيت الأعمى التطيلي على هذا الشكل

حَدَا حَدَّثَانِي عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ
وَالشَّطْرَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَيْتِ الْمَكْسُورِ
وَالرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ

لَعَلِّي أَرَى بَاقِيَ عَلَى الْحَدَّثَانِ

خُذَا حَدَّثَانِي عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ (ديوان الأعمى ٢٢٤-٢٣١)

وبذلك يستقيم الشطر . جاء في لسان العرب (مادة فُلل):

ومن خفيف هذا الباب فل: في قولهم للرجل يا فل

...

قال أبو النجم

في لجة أمسك فلاناً عن فل

٧٨ بيت عدي بن زيد اورده المحقق على هذا الشكل:

فألوت بعد (الصبا) والدبور

والشطر مكسور والرواية الصحيحة

فألوت به الصبا والدبور

٨٠ بيت قس بن ساعدة الإيادي، أورده المحقق على هذا الشكل:

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

وصحته

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

٩٠ وردت كلمة يابة في البيت:

تمر وتمضي يابة بعد يابة بالياء

وهي بالباء (يابة بعد يابة)

جاء في القاموس المحيط مادة (البوابة):

والباب والباية في الحساب والحدود الغاية...

وهذا بابه أي شرطه

٩٦ أود المحقق بيت ابن نباتة

أمعهد سعدي بالعذيب سقاكما ملية الحيا حتى يُبل صداكما

وليس لـ (ملية) معنى وهو ملث أي مطر دائم جاء في لسان العرب مادة لثث:
وألث المطر إلتاثاً أي دام أياماً لا يقلع...

وأورد البيت الثاني لابن نباتة: ٩٦

صدي كلما أشكو حجاباً كأنما خلقنا على أطلاله تتباكا

وليس لهذا البيت على هذا الشكل معنى وصحته (الديوان ٣٦٣)

صدي كلما أذعر أجاب كأننا خلقنا على أطلالها نتشاكى

وقد استدرك المحقق فقال في الحاشية: (مع اختلاف في بعض الكلمات)
والاستدرك جيد لو كان للبيت كما ورد معنى.

ورد بيت ابن النقيب ٩٧

فيسمع من ذا ناطق وهو صامت ويبصر من ذا (حاضراً) وهو غائب

هذا ولم أجد البيتين في ديوان ابن النقيب طبع المجمع العلمي العربي بدمشق
عام ١٩٦٣، والمعنى أن الإنسان يسمع الصدى ناطقاً، وهو صامت، ويبصر
الخيال حاضراً، وصاحبه غائب.

بيت الحمّامي الثاني ورد كما يأتي: ٩٨

قد سمعت الصدا وهو جماد كل شيءٍ تقول ردّ عليك

والشطر الأول مكسور وحقه مد المقصور، وهو جائز للشاعر، فيكون الشطر:

قد سمعت الصدا وهو جماد

ورد بيتا البغدادي: ١٠٧

رأوا صبري وصمتي فاسترابوا وقالوا: ملّ أو كلّ اللسان

فقلت لهم إذا نارٌ تلتظت وشبّ وقودها زاد الدخان

وكلمة (زاد) في الشطر الثاني من البيت الثاني تخالف ما يقصده الشاعر، وما
ورد في أول الفصل، قال العتبي عن إبراهيم: لا يكون البكاء إلا من فضل، فإذا
اشتد الحزن ذهب البكاء . إذا فحق زاد أن تكون (زال) ليصح المعنى.

١١٨ وردت هذه الكلمة على هذا الشكل

... فإنه لم يرغب عنك غيبةً (خيراً) لك فيها أجراً أعظم من هذه.

وهذه الكلمة مضطربة اضطراباً خطيراً وحققها أن تكون على هذا الشكل

(فإنه لم يرغب عنك غيبةً لك فيها أجر أعظم من هذه)

١٣٠ ورد هذا البيت:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يجود رماداً بعد إذ هو ساطعُ

أما (يجود) فخطأ مطبعي والصحيح (يحور) وقد أوردناه في الأخطاء المطبعية ولكن المهم أن المحقق نسب البيت في الحاشية رقم ٥٤ فقال: البيت للنابغة الجعدي انظر الديوان ص ٨٨. والبيت ليس للنابغة الجعدي وليس في ديوانه وإنما هو حصراً للبيد بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٨١ من قصيدته المشهورة:

يلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ وتبقى الديار بعدنا والمصانع

١٤٢ ورد البيت:

بأبي وأمي من (عباب) حنوطه بيدي وفارقتي بماء شبابه

وأظن (عباب) من الكلمات التي ندت على المحقق كما ذكر في مقدمته والكلمة هي (عبأث)، وعبأ كعبأ: هياً وجهز.

وأغلب الظن أن البيتين لأبي عكرشة الضبي.

تلك هي ملاحظاتي على التحقيق، وأقول لإنصاف المحقق أن بعض هذه الملاحظات ربما كانت عائدة إلى الأخطاء المطبعية لا إلى هفوات التحقيق.

الخلاصة:

أرحب بالأخ الدكتور مخيمر صالح في جيش محققي التراث الصابرين، وأرجو

أن ينجو تحقيقه من الأخطاء المطبعية أولاً ومن هفوات التحقيق ثانياً.